بحث في التفسير التحليلي

لقول الله تعالى

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾

[النساء: ٨٣]

إعداد

دكتور عبدالله بن الشيخ محمد الأمين

ابن محمد المختار الجكني الشنقيطي



دار العلوم والحكم

مكتبة العلوم والحكم

بحث في التفسير التحليلي

لقول الله تعالى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا

النساء: ٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بحث في التفسير التحليلي

لقول الله تعالى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا

النساء: ٨٣

إعداد

دكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين
ابن محمد المختار الجكني الشنقيطي

مكتبة العلوم والحكم
المدينة المنورة

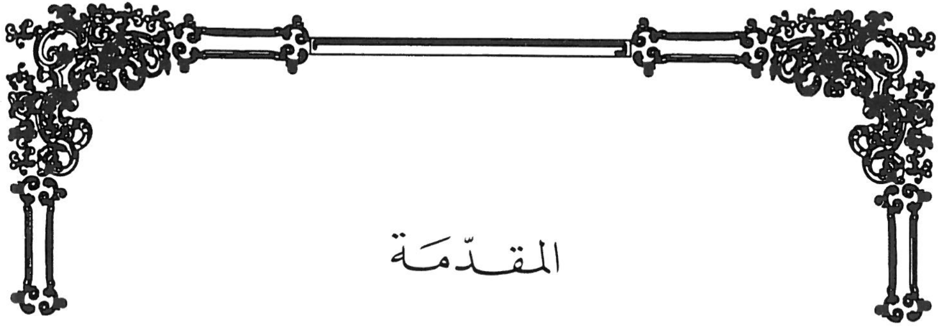
دار العلوم والحكم
سوريا

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الناشر
مكتبة العلوم والحكم
هاتف ٨٤٥٢٢٧٣ - ٨٢٥١٩٤٢
المدينة المنورة - ص ب : ٦٨٨
المملكة العربية السعودية

دار العلوم والحكم للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا - دمشق - هاتف : ٧١١٦٤٤٢



المقـدّمَـة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وشرَّفنا بإنزالِ القُرْآن، تِبياناً لكلِّ شيء، وبعث إلينا نبيّاً اصطفاه، وختم به الرسالات، وجعله أشرف مخلوقٍ، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم.

أمَّا بعد.. فإني منذ زمنٍ كُلَّما تأملت في القرآن الكريم وجدتُ بعض آياته لا يتضح لي معناها، فإذا رجعت إلى أقوال المفسرين فيها زاد عندي الإشكال في بعض تلك الآيات، وزال عني الإشكال في بعضها الآخر.

ومن جملة تلك الآيات التي فيها الإشكال، قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

فإني كلَّما طالعتُ الكتب وجدت الاختلاف بين العلماء ـ رحمني الله وإياهم ـ في المقصود منها، وهل الاستثناء على حقيقته؟ أو هو بمعنى لا شيء؟ أو في الكلام تقديم وتأخير؟ مِمَّا كان السبب في كتابة هذا البحث لعلي أوضح طريقاً تكون عوناً على فهم القرآن، أو توضح جانباً من جوانب الموضوع تعين على حلِّ الإشكال.

ولكني في هذا البحث توصلت إلى أنَّ الإنسان ينبغي عليه أن يكون شجاعاً ويقف عند علمه، فإذا تبيَّن له عدم فهمه للمسألة توقف، وإذا ظهر له في المسألة قولٌ بدليله قالَ به، لأنَّ طالب العلم عنده ميزانٌ يزن به الأُمُور، ويوضِّح له المُشكِل، وذلك الميزان هو: كتاب الله تعالى، وسنّة نبيّه ﷺ، فإنه لا توجد قضية إلاَّ في القرآن الكريم السبيل إلى حلها، إمَّا

بنصٍ، أو بظاهرٍ، أو بمفهوم، أو بفحوى الخطاب، وقد دُلَّ الإنسان على أن يسأل إن كان جاهِلاً، لكَونه إن عجز عن استخراج الدَّلِيلِ بنفسه فإنَّه مأمورٌ بسؤال أهل العلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وورد عنه ﷺ أنه قال: «... **قتلوه. قتلهم الله.. ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنَّما شِفاء العي السؤال...**»الحديث[1].

لكن الله تعالى يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا...﴾ [الرعد: ٤١]، وقد فُسِّرَ ذلك بموت العلماء، فإنَّ كثيراً من المسائل التي فيها خفاء لا تجد من يستطيع توضيحها لك، مِمَّا يحتم على طلاب العلم الجد والاجتهاد في القيام بهذا الواجب العظيم. والله تعالى أسأل أن يجعلنا مِمَّن قام بالواجب.

وقد قسَّمْتُ هذا البحث بعد هذه المقدمة إلى سبعة مسائل وخاتمة، فأمَّا المسائل فهي:

المسألة الأولى: دلالة (الواو) في القرآن الكريم والمعاني التي تأتي لها.

المسألة الثانية: دلالة (لولا) في القرآن الكريم والمعاني التي تأتي لها.

المسألة الثالثة: بيان فضل الله ورحمته بالمؤمنين.

المسألة الرابعة: اتباع الشيطان (أسبابه، والمنقذ منه).

المسألة الخامسة: دلالة (إلاَّ) في القرآن الكريم والمعاني التي تأتي لها.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب المجروح يتيمم، عن جابر رضي الله عنه ٢٤٠/١، وابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة، باب المجروح تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه ١٨٩/١، وقال: إنَّه منقطع والحاكم في المستدرك ١٧٨/١ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والحديث طرف منه بسندٍ قوي. قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ١٤٧/١: والصواب أنَّ الأوزاعي أرسل آخره عن عطاء.

المسألة السادسة: معنى كلمة (قليلاً) في القرآن الكريم بعد بيانها في اللغة.

المسألة السابعة: تفسير هذه الآية الكريمة.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم ما توصلت إليه بشأن هذه الآية الكريمة.

الفهارس: وتحتوي على:

١ - فهرس للآيات القرآنية الكريمة.

٢ - فهرس للأحاديث النبوية الشريفة.

٣ - فهرس الأعلام.

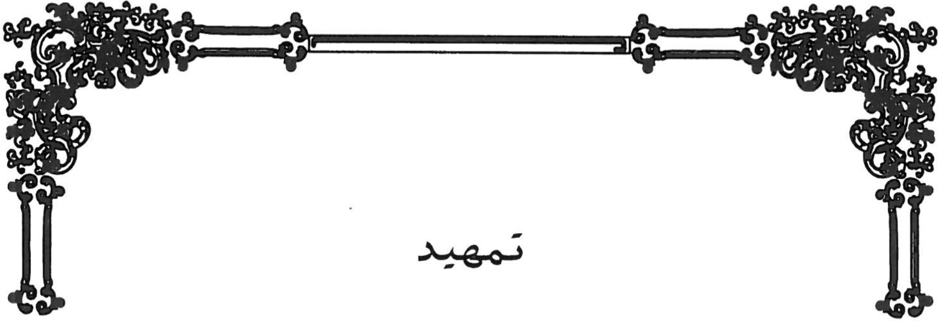
٤ - فهرس للشواهد الشعرية.

٥ - فهرس للمصادر والمراجع.

٦ - فهرس للموضوعات.

أرجو الله جلَّ وعلا أن لا يعذبني به، وأن يغفر لي ولجميع المسلمين آمين.





تمهيد

تنقسم (الواو) إلى قسمين: مزيدة، وأصلية، والزائدة على ثلاثة أضرب:

١ ـ زائدة في بناء الكلمة تلزم حروفها غالباً.

٢ ـ وزائدة بمعنىً مقصودٍ تزول الواو عن حروف الكلمة الأصول بزوال ذلك المعنى.

٣ ـ وزائدة في أول الكلمة لا تعد من حروفها كـ(واو العطف) و (واو الحال). وهذه هي التي تحتاج منا تتبع في القرآن الكريم لكونها الموجودة في الآية التي أوردنا البحث فيها.

أمَّا الواو الأصلية فهي التي تكون من بنية الكلمة ولا تسقط منها في أي شيء من تصاريفها، إلاَّ إذا عُوِّضَ عنها، أو كانت مقدرة، نحو (وعد)، و (صوت)، و (دلو) في غير المحذوفة، و (يد) في المقدرة المحذوفة، و (عِدَةٍ) في المحذوفة المُعَوَّضِ عنها.

وضابط أصالتها أن يكونَ معها حرفان فقط، لكون الكلمة لا تبنى على أقل من ثلاثة أحرف إلاَّ إذا كانت الكلمة حرفاً.

والمقصود بالكلمة هو ما تتكون منه الجملة، وهو الاسم والفعل، أو اسمان: مبتدأ وخبر[1].



---

(١) الفصول المفيدة في الواو المزيدة، للعلائي (ت٧٦١هـ) تحقيق: د. حسن الشاعر.



المسألة الأولى:
دلالة (الواو) في القرآن الكريم والمعاني التي تأتي لها:

(الواو) في اللغة العربية جاءت لمعانٍ أبلغوها خمسة عشر معنىً:

الأول: العاطفة:

ومعناها مطلق الجمع، كقوله تعالى:

١ ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: ١٥]. مصاحبة.

٢ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحديد: ٢٦]. سابقة.

٣ ـ ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الشورى: ٣]. لاحقة.

وقد اجتمعت اللاحقة والسابقة في قوله تعالى: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

وعلى ما تقدم فلو قلت: (قام زيد وعمرو) احتمل ثلاثة أمورٍ:

١ ـ المعية: وهذا راجح.

٢ ـ الترتيب: وهذا كثير.

٣ ـ العكس: وهو قليل. أعني أن يكون (زيدٌ) هو القائم الثاني لا الأول.

كما أنَّ هناك من قال: إنَّها تكون مشابهة لـ (ثُمَّ) و (الفاء) في تقارب ما تعطفه أحياناً، وتراخيه حيناً، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، فكان الرد بُعَيد إلقائه في اليمِّ، والإرسال على رأس أربعين.

تنبيه: ما ذكره ابن هشام يتجه في قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، أمَّا جملة: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ فليست معطوفة وإن كان المعنى صحيحاً. فَلْيُنْتَبَه لذلك.

قال بعض العلماء: إنَّ الواو للجمع المطلق. وقال بعضهم: إنَّ الواو للجمع فقط[(١)].

كما أنهم ردوا على السيرافي[(٢)] قوله: «إنَّ النحويين واللغويين أجمعوا على أنها لا تفيد الترتيب»، بما نقل عن قطرب[(٣)]، والفرَّاء[(٤)]، وثعلب[(٥)] إفادتها الترتيب.

---

(١) المغني ٣٩١/١.

(٢) القاضي أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان، كان عالماً بالنحو واللغة والشعر والفقه. من مشايخه ابن مجاهد في القرآن، وأخذ النحو عن ابن السراج، شرح الكتاب لسيبويه. توفي سنة ٣٦٨هـ.
بغية الوعاة ٥٧/١ ـ ٥٨.

(٣) أبو علي محمد بن المستنير النحوي، لازم سيبويه، من تصانيفه: المثلث. توفي سنة ٢٠٦هـ. من شيوخه: سيبويه. ومحمد بن الجهم السمَّري. ومن تلاميذه: ابن أبي دلف العجلي.
إنباه الرواة ٢١٩/٣، البداية والنهاية ٢٥٩/١٠، الكامل لابن الأثير ٢٠٤/٥، وانظر: مقدمة تحقيق مثلث قطرب للدكتور رضا السويسي ص٥ ـ ٧.

(٤) أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي، كان أعلم الكوفيين بعد الكسائي، له: معاني القرآن، والمذكر والمؤنث. ولد بالكوفة سنة ١٤٤هـ، وتوفي سنة ٢٠٧هـ، وقيل: ٢٠٩هـ، من شيوخه: الكسائي، وسفيان بن عيينة. ومن تلاميذه: ابنا المأمون العباسي.
مقدمة تحقيق معاني القرآن للفرَّاء ١٠/١، طبقات المفسرين ٣٦٦/٢.

(٥) أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم، من أئمة الكوفيين في النحو، كان عالماً باللغة والشعر والغريب، حافظاً للعلوم. من تآليفه: المصون في النحو، =

أدلة القولين المذكورين:

استدل أصحاب القول الأول القائلون بأن (الواو) للجمع، بأن أصل اللغة في وضع (الواو) أنها للجمع المجرد. لذلك يجوز أن يكون المذكور المعطوف عليه بـ(الواو) حصل بعد المعطوف أو قبله أو مقارناً له.

أمَّا أصحاب القول الثاني فقالوا: إنَّ الأصل فيها أن يكون الأول قبل الثاني، ولا يُصار إلى غير ذلك إلاَّ بقرينة، لأنه لو لم يكن ذكر الأول مقصوداً لما ذُكِرَ قَبْلُ، وَلَنُطِقَ بالثاني قبل الأول. والأمر يُعْرَفُ باستعمال العرب وتتبع أساليبهم في التخاطب.

وبما ذكر يظهر أنَّ رأي الجمهور في (الواو) هو المختار، وأنَّها للجمع فقط.

والأصل في (الواو) العطف، لكون كل باب أصله واحد، ثم تدخل عليه دواخل لاجتماعها في المعنى. فـ(الألف) أحق بالاستفهام، و (إلاَّ) أحق بالاستثناء، و (الواو) أحق بالعطف.

و (الواو) هنا عاطفة جملة كلام على كلام آخر، وإن لم يكن معناهما واحداً، فهو ابتداء كلام، و (الواو) في أوله واصلة تلك الجمل بالجمل التي بعدها وإن لم تكن متحدة المعنى.

ولـ(الواو) خصائص تتميز بها عن بقية حروف العطف.

١ ـ اقترانها بـ(إمَّا) كقول تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

٢ ـ اقترانها بـ(لا) إن سُبِقَت بنفي ولم يُقْصَد المعية، كقول تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ: ٣٧].

٣ ـ اقترانها بـ(لكن)، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

= ومجالس ثعلب، ومعاني القرآن. توفي سنة ٢٩١هـ. من شيوخه: إبراهيم بن المنذر، وابن الأعرابي، والزبير بن بكار. ومن تلاميذه: نفطويه، والأخفش الصغير، وابن الأنباري.

تاريخ بغداد ٢٠٤/٥، معجم الأدباء ١٠٢/٥، سير أعلام النبلاء ٥/١٤ ـ ٧.

٤ ـ عطف العام على الخاص، كقوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨].

٥ ـ عطف الخاص على العام، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [نوح: ٧].

٦ ـ عطف الشيء على مرادفه، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٧].

٧ ـ (الواو) تستعمل في مواضع لا يسوغ فيها الترتيب، نحو: «اختصم زيدٌ وعمرو».

٨ ـ ليس في التوابع ما يتقدم على متبوعه إلاّ المعطوف بـ(الواو) لأنها لا ترتب.

٩ ـ الصفات التي يتصف بها المتحدث عنه تعطف على بعض بـ(الواو) ولا يصح العطف بغيرها، لزيادته معنىً آخر غير الصفة[١].

النوع الثاني من الواو: (واو القسم):

وهي مبدلة عن الباء في مثل قولك: «أقسمت بالله»، هي باء الإلصاق، كما أنَّ الباء مبدلة من (الواو)، و (الواو) أكثر استعمالاً من أصلها وهو الباء[٢].

أمثلة للقسم بـ(الواو) في القرآن الكريم:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾

---

(١) ابن يعيش ٩١/٨، المقتضب ٢٧٢/٣، المغني ٣٩٣/١، دراسات في أسلوب القرآن الكريم، الجزء الثالث من القسم الأول ص٥٢٤ تأليف: محمد عبدالخالق عضيمة، ومصابيح المعاني في حروف المعاني ص٥١٩ تأليف: ابن الخطيب الموزعي ابن نور الدِّين (ت٨٢٥هـ) تحقيق: الدكتور عايض بن نافع العمري.

(٢) ابن يعيش ٣٢/٨، الرضي ٣١٠/٢، دراسات في أسلوب القرآن ٥٠٥/١/٣.

[النساء: ٦٥]. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ معناها: فوربك، كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ [الحجر: ٩٢] و (لا) مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩] لتأكيد وجوب العلم، و ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جواب القسم(١).

الوجه الثاني: أنَّ (لا) نفي لشيء محذوف تقديره: (فلا يعقلون)، ثم قال: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

الوجه الثالث: أنَّ (لا) الثانية زائدة، والقسم معترض بين النفي والمنفي. والتقدير: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٣).

و (واو القسم) في القرآن كثيرة، وخصوصاً في أوائل السور، نحو قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ١ ـ ٣]، الجواب: جعلناه، وقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان: ١ ـ ٣]. الجواب: أنزلناه. ونحو قوله تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: ١]، ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [ص: ١]، ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: ١]، ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١﴾ [الذاريات: ١]، ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١﴾ [الصافات: ١]، ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات: ١]، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١﴾ [النازعات: ١]، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ [الطارق: ١](٤).

النوع الثالث من الواو: (واو الحال) الداخلة على الجملة الإسمية:

نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فقيل: واو الحال.

---

(١) الكشاف ٢٧٧/١.

(٢) البحر المحيط ٢٨٤/٣.

(٣) إملاء ما منَّ به الرحمٰن للعكبري ١٠٤/١.

(٤) دراسات في أسلوب القرآن الكريم ٥٠٦/١/٣، ٥٠٧، ويلاحظ تركيزه على الجواب من حيث الحذف وعدمه، ونحن هنا نشير إلى (الواو) التي هي (واو القسم) لكونها شبه (واو العطف) في الصورة.

وقيل: بمعنى إذ. وقيل: للابتداء. والأقوال الثلاثة متقاربة إن أريد بالابتداء الإستئناف. وليس قصد النحاة أنَّ إذْ بمعنى الواو، ولكن يتواردان على معنىً واحد، إذْ لا يرادف الحرف الاسم[1].

كما أنَّ الجملة الحالية إذا سبقت بجملة حالية أخرى احتملت الجملة الثانية الحالية على أنَّ (الواو) عاطفة عند من يجيز ذلك، واحتملت الابتدائية نحو قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

وقد تدخل (واو الحال) على الجملة الفعلية[2]، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ [مريم: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ [البقرة: ٩١]، فهذه الجمل في بعض الأقوال الواردة فيها أنها أحوال. وهناك أقوال أُخر.

وقصدنا هنا بيان أنَّ هناك (واواً) يقال لها (واو الحال) وأنها تدخل على الجمل الإسمية والجمل الفعلية، على خلافٍ بين العلماء فيما يشترط لذلك، ليس هذا محل بسطه.

النوع الرابع من الواو: (واو المعية):

وهي واو المفعول معه، كقولك: «سرت والنيل» أي: مع النيل، وليس النصب بها خلافاً للجرجاني[3].

---

(١) المغني ٣٩٨/١.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في: دراسات في القرآن الكريم ٥٩٣/١/٣، والكتاب لسيبويه، والبحر المحيط ٣٢٧/٣. نقلاً عن عبدالخالق عضيمة في كتابه دراسات في أسلوب القرآن الكريم.

(٣) هو شيخ العربية أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمٰن الجرجاني، أخذ النحو عن محمد بن الحسين ابن أخت أبي علي الفارسي، وكان شافعياً عالماً أشعرياً ذا نسك ودين. من تصانيفه: إعجاز القرآن، وشرح الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي. قال السلفي: وكان ورعاً قانعاً. توفي سنة ٤٧١هـ.
سير أعلام النبلاء ٤٣٢/١٨، ٤٣٣، طبقات المفسرين للداودي ٣٣٠/١.

ولم تأت في التنزيل على تعيين، وإنما ورد من ذلك محتمل، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]، قالوا: محتملة للمعية، ومحتملة أن تكون عاطفة مفرداً على مفردٍ بتقدير مضاف، أي: أمر شركائكم، أو جملة على جملة بتقدير فعل، أي: واجمعوا شركاءكم بوصل الهمزة، وموجب التقدير في الوجهين أن أجمع لا يتعلق بالذاوت بل بالمعاني، كقولك: أجمعوا على قول كذا، بخلاف جمع، فإنه مشترك بين المعاني والذوات، قال تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ [الهمزة: ٢].

وقال ابن منظور: وتكون (الواو) بمعنى (مع) كما ورد في الحديث: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» ـ وأشار بالسبابة والوسطى[1] ـ، وذلك لما بينهما من المناسبة[2].

وقال الشاعر، وهو كعب بن جعيل:

فكنت وإياها كحران لم يفق ... عن الماء إذ لاقاه حتى تقدَّدا

الحران: العطشان. والتقدد: التشقق. شرب حتى تشقق بطنه.

ومحل الشاهد: (فكنت وإياها) أي: معها، حيث جاءت (الواو) بمعنى (مع).

النوع الخامس من الواو: (واو الاستئناف):

ويرتفع ما بعدها على الاستئناف، كقوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعيد. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦٣١/٨.

(٢) لسان العرب ٤٨٧/١٥ ط. دار صادر.

وقد قدروا في قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ أي: ونحن نقر في الأرحام ما نشاء[1] لكونه جعل (نحن) مبتدأ و (نقر) في محل الخبر، وهكذا (واو الاستئناف) فإنها تجعل الكلام الذي بعد (الواو) لا علاقة له بما قبلها، وإلاً لكانت (واو عطف).

النوع السادس من الواو: (واو الصرف):

وسميت (واو الصرف) من قبل الكوفيين لصرفها المضارع عن وجهه الأول، وهي الناصبة للفعل المضارع المعطوف على اسمٍ قبله.

والبصريون يرون أنَّ النصب بأن مضمرة بعدها لا بها، خلافاً للكوفيين.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، فاحتج الكوفيون بأنهم قالوا: إنما قلنا: إنها منصوبة على الصرف لكون الثاني مخالفاً للأول. ولما كانت هذه الواو مخالفة للمعنى الأول وصارفة له عن المعنى الأول، كانت ناصبة.

أما البصريون فقالوا: إنما قلنا: بأن الفعل منصوب بتقدير (أن) لا بـ(الواو)، لأن الأصل فيها أن تكون حرف عطف، والأصل فيها أن لا تعمل[2].

النوع السابع من الواو: (واو رُبَّ):

ويتجرد الاسم بعدها ولا تدخل إلاً على منكر، ولا تتعلق إلاً بمؤخرٍ، والصحيح أنها (واو العطف)، وأنَّ الجرَّ بـ(رُبَّ) بعدها محذوفة خلافاً للكوفيين والمبرد. وحجتهم في كونها ـ أعني الواو ـ جارة كونها تأتي في أول القصائد.

---

(١) الكتاب لسيبويه ١/٤٣٠، ومصابيح المعاني في حروف المعاني، تأليف: محمد بن علي بن الخطيب الموزعي ابن نور الدِّين (ت٨٢٥هـ)، دراسة وتحقيق: د.عائض العمري. ط. دار المنار. ص٥٢٦، ودراسات في القرآن لعضيمة ٣/١/٥٢٥.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ٢/٥٥٥، ٥٥٦.

وأجيب عن ذلك باحتمال كونها عاطفة، عدم دخول (واو العطف) عليها كما تدخل على (واو القسم)، كما قال الشاعر - وهو غيلان بن شجاع النهشلي -:

فوالله لولا تمره ما حببته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق[1]

النوع الثامن من أنواع الواو: (الواو الزائدة):

وهي التي دخولها كخروجها. أثبتها الكوفيون والأخفش.

ومثالها: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ بدليل ﴿فُتِحَتۡ﴾ في الآية الأخرى.

وقيل: الزائدة. كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾.

وقيل: هما عاطفتان، والجواب محذوف. أي: كان كيت وكيت.

ومثلوا للزائدة بقوله تعالى أيضاً: ﴿فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾ [ص: ٤٤].

وقيل: هي عاطفة، و (لا) للنهي، وكونها للنهي يستحسنه بعضهم. وكقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ [يوسف: ٢١].

وهذا رأي أنكره كثير من علماء العربية وقالوا: لا يأتي شيء في اللغة لا معنى له، ويقدر في ذلك الجواب، وهذا أولى من غيره، ولكن للمعترض أن يقول: زيادتها لمعنىً وهو التأكيد وتقوية المعنى[2].

ما يترتب على اختلاف الفقهاء في (الواو) من المسائل الفقهية:

لو قال لزوجه غير المدخول بها: «أنت طالق وطالق وطالق»:

فالمشهور من مذهب الشافعي وقبله مذهب الحنفية: أنه لا يقع عليها

---

(١) المغني ٤٠٠/١، وقيل: صاحبه مجهول. انظر: شرح شواهد المغني للسيوطي ٧٨٠/٢، لسان العرب، مادة (حبب) ٢٨٩/١.

(٢) مصابيح المعاني في حروف المعاني ص٥٢٦، ومعاني القرآن للفراء ١٠٧/١، ٥٠/٢، ومعاني القرآن للأخفش ٤٥٧/٢.

إلاَّ طلقة واحدة. بخلاف ما إذا قال: أنت طالق ثلاثاً، فإنها تطلق لها. وهذا هو الذي ذهب إليه جماعة من المالكية.

وذهب آخرون منهم إلى أنها تطلق ثلاثاً في هذه الواو. وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل، والليث بن سعد(١)، وابن أبي ليلى(٢)، واختاره ابن الحاجب من المالكية، وحكاه بعض الأصحاب قولاً قديماً عن الإمام الشافعي، وبعضهم ذكره أيضاً وجهاً للأصحاب(٣).

وحجة القائلين بأن (الواو العاطفة) التطليقات على بعضٍ تُحَرِّم: أنَّ الكلام كله في حكم جملة واحدة لأن (الواو) تقتضي المعية، بل لا فرق بين قوله: «أنت طالق ثلاثاً» وبين الصورة الأخرى بالعطف بـ(الواو). بخلاف ما إذا قال: «أنت طالق ثم طالق»، أو: «فطالق»، فإنها لا تطلق إلاَّ واحدة لكونها تبين بالأولى وتقع الثانية على غير الزوجة فلا تلحقها التطليقة الثانية لبينونتها(٤) بالأولى لما تقتضيه (ثُمَّ) من المهلة و (الفاء) من الترتيب، بخلاف (الواو)(٥).

ومما يترتب على (واو) الحال (واو) العطف: فلو قال لعبده: «أدِّ إليَّ ألفاً وأنت حُرٌّ» لا يعتق العبد ما لم يؤد الألف، بخلاف ما لو قال

---

(١) الليث بن سعد بن عبدالرحمٰن الفهمي مولاهم، إمام أهل مصر في عصره، ومحدثاً وفقيهاً. قال الشافعي: إنه أفقه من مالك، لكن تلاميذه لم يقوموا به، وُلِدَ سنة ٩٤هـ، وتوفي سنة ١٧٥هـ، من تابعي التابعين.
تهذيب الأسماء واللغات ٧٣/٢.

(٢) محمد بن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي، له أخبار مع أبي حنيفة، ولي قضاء الكوفة لبني أمية وبني العباس، وكان فقيهاً من أهل الرأي، توفي سنة ١٤٨هـ.
الأعلام للزركلي ١٨٩/٦ ط. دار القلم.
وانظر: الفصول المفيدة في الواو المزيدة ص٩٧ للعلائي. ط. دار البشير.

(٣) الاستذكار ٢٥١/١٧، المغني ٢٢٣/٧، المحلى ٢١٣/١٠ مسألة ١٩٥١، القوانين الفقهية ص٢٢٩، المهذب ٨٤/٢.

(٤) انظر: المبسوط ٤/٦ ـ ٨ ط. دار الفكر، وبداية المجتهد ٨/٧ ط. عالم الكتب.

(٥) الإشراف على مسائل الخلاف ١٣١/٢ للقاضي عبدالوهاب بن علي بن نصر البغدادي الفقيه المالكي، المتوفى بمصر سنة ٤٢٢هـ. ط. الإرادة.

لشخص: «خُذ هذا المال واعمل به مضاربة في البَزِّ» لا تتقيد المضاربة في البزِّ مطلقاً، بل له أن يتجر في غيره.

وذلك لأن (الواو) الأولى واو حال وهي قيد لعاملها، أي: لا تتصف بالحرية إلاَّ بعد أن تتصف بالأداء. بخلاف (الواو) الثانية فإنها عاطفة جملة على جملة. والمعنى: خذ المال مضاربة واعمل به في البزّ، وهنا لا تصلح أن تكون واو الحال، لتعينها للعطف(١).

مِمَّا يَدُلُّ على ضرورة فهم اللغة العربية، وبيان ذلك لطلبة العلم لِمَا يترتب عليه من اختلافٍ وترجيحٍ واستنباطٍ للأحكام. وذلك يحتم على المشتغلين بعلوم الشريعة فهم ذلك.

ومما يختلف فيه الحكم حسب الاحتمال الحاصل في الواو، قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]. فلا يخفى أنَّ هذه الواو محتملة للاستئناف، فيكون قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿يَقُولُونَ﴾، وعليه فالمتشابه لا يعلم تأويله إلاَّ الله وحده، والوقف على هذا تام على لفظ الجلالة.

ومحتملة لأن تكون عاطفة، فيكون قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ معطوفة على لفظ الجلالة، وعليه فالمتشابه يعلم تأويله الراسخون في العلم أيضاً.

وفي الآية إشاراتٌ تدل على أنَّ (الواو) غير عاطفة، وأنها استئنافية.

منها أنَّ الله تعالى متفرد بعلم المتشابه، وأنَّ الوقف الصحيح عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ لفظاً ومعنىً، أمَّا اللفظ فلأنه لو أراد عطف الراسخين لقال: ويقولون آمنا به بـ(الواو). وأمَّا المعنى فلأنه ذمَّ مُبْتَغِ التأويل(٢).

---

(١) الفصول المفيدة في الواو المزيدة ص١٨٣.

(٢) روضة الناظر لابن قدامة ١/١٨٦، ١٨٧ مع نزهة الخاطر العاطر، تفسير البغوي ١/٢٨٠ ط. دار المعرفة.

ولو كان ذلك للراسخين معلوماً لكان مبتغيه ممدوحاً لا مذموماً.

ولأن قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ يدل على نوع تفويضٍ وتسليم لشيءٍ لم يقفوا على معناه سيما إذ أتبعوه بقولهم: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ فذكرهم ربهم هنا يعطي الثقة والتسليم لأمره وأنه صدر من عنده كما جاء من عنده المحكم.

ولأن لفظة (أمّا) لتفصيل الجمل فذكره لها في معرض التحدث عن ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ مع وصفه إياهم باتباع المتشابه وابتغاء تأويله يدلُّ على قِسْمٍ آخر يخالفهم في هذه الصفة وهو (الراسخون) ولو كانوا يعلمون تأويله لمَ يخالفوا القِسْمِ الأول في ابتغاء التأويل.

ومِمَّا يُقوي أنَّ الواو استئنافية لا عاطفة، دلالة الاستقراء في القرآن أنه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئاً وأثبته لنفسه أنه لا يكون له في ذلك الإثبات شريكٌ[1].

والقصد: الإشارة إلى اختلاف الحكم باختلاف نوع (الواو) المقدرة لا تتبّع ذلك واستقصاؤه.

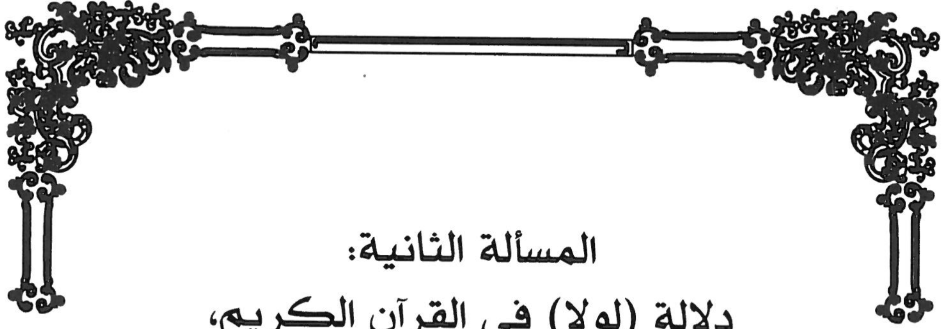
وبهذا القدر نكتفي، وننتقل إلى المسألة الثانية.



---

(١) أضواء البيان ٢٧٠/١ (وقد قوّى الاستئناف كما ترى)، والكشاف ٤١٣/١ (وقد قوّى العطف).

والقول الأول أقوى دلالة لأدلته الكثيرة الصريحة. انظر: أضواء البيان ٢٧١/١.



المسألة الثانية:
دلالة (لولا) في القرآن الكريم، والمعاني التي تأتي لها:

وهي حرف امتناعٍ لوجود، وتأتي في اللغة العربية على أربعة أوجه:

النوع الأول من أنواع (لولا):

أن تدخل على جملتين اسمية، ففعلية، لربط امتناع الثانية بوجود الأولى، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]. أي: لولا فضل الله حاصل وواقع[(١)].

وقال ابن الشجري[(٢)]: إنَّ الخبر «لاتبعتم الشيطان»[(٣)].

ورد جمهور النحاة عليه ذلك، وقالوا: إنَّ الخبر محذوف وجوباً. كما صرّح به ابن مالك في الخلاصة بقوله رحمه الله:

وبعد لولا غالباً حذف الخبر حتمٌ وفي نصٍّ يمينٍ ذا استقرّ

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٣٠٢/١.

(٢) هبة الله بن علي بن محمد، أبو السعادات، ابن الشجري، وحيد دهره في اللغة العربية وعلومها، أخذ عن علي بن فضال، والبهريزي، وعنه التاج الكندي، ألَّفَ الأمالي شرح اللمع. توفي سنة ٥٤٢هـ.
بغية الوعاة ٣٤٢/٢.

(٣) دراسات في أسلوب القرآن الكريم ٦٧٦/١/٢.

والتحقيق: أنَّ المرفوع بعدها مبتدأ وليس مرفوعاً بها، ولا هو فاعل بفعل محذوف خلافاً لزاعمي ذلك.

ومن أمثلة (لولا) الإقناعية في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣]، وقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ [القصص: ٨٢].

ويلاحظ أنه لم يأت بعد (لولا) في القرآن الكريم ضمير متصل، وإن جاء بعدها منفصلاً مرفوعاً، كما جاء بعدها الاسم الظاهر، والمصدر الصريح، والمؤول، وكل ذلك مرفوع بالابتداء على التحقيق، وسُمِعَ قليلاً: لولاك، ولولاه، ولولاي، وهي جارة للضمير مختصة به، كما اختصت حتى، والكاف بالظاهر.

النوع الثاني من أنواع (لولا):

(لولا) التي للتحضيض، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ [النمل: ٤٦]، وهي في الغالب تختص بالمضارع أو ما في تأويله.

النوع الثالث من أنواع (لولا):

(لولا) التي للعرض، نحو قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾، والفرق بين العرض والطلب، وبين التحضيض، أنَّ التحضيض طلب بَحثٍّ وإزعاجٍ، والعرض طلبٌ بِلِينٍ وتأدبٍ[1].

وإذا خلا الأسلوب من التوبيخ كانت (لولا) للعرض[2]، وقد يكون

(١) مغني اللبيب ٣٠٣/١، مصابيح المعاني في حروف المعاني ص٤١٩.
(٢) الرضي ٣٦٠/٢.

الماضي بعدها بمعنى المستقبل[1]، فهي في كونها لا يقع بعدها، إلاَّ المضارع مثل التحضيضية.

وبهذا يعلم أنَّ (لولا) التحضيضية والعرضية معناهما متقارب، ولكن بينهما فروق دقيقة، منها: أنَّ التحضيضية الطلب بعدها بحثٌ وإلحاحٌ، بخلاف العرضية فإنَّ الطلب بعدها برفقٍ ولطفٍ.

وكذلك لا يكون بعد (لولا) التي للعرض توبيخ، ولا شدة في الطلب. وبهذين الوصفين يتضح الفرق.

النوع الرابع من أنواع (لولا):

أن تكون للتوبيخ والتنديم، فتختص بالماضي، نحو قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ [الأحقاف: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور: ١٦][2].

النوع الخامس من أنواع (لولا):

أن تكون للنفي، بمعنى (لم)، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [يونس: ١٣]، أي: فلم يكن[3].

وابن هشام يرى أنه للتوبيخ[4]، ويوجهه بقوله: «فهلا كانت قرية واحدة من القرى المهلكة تابت عن الكفر قبل مجيء العذاب فنفعها»[5].

---

(١) ابن يعيش ١٤٤/٨.

(٢) دراسات في أسلوب القرآن الكريم ٦٩٠/٢.

(٣) البحر المحيط ١٩٢/٥، الصاحبي ص٢٥٤، معاني القرآن للأخفش ١٥١/١، وللفراء ٤٧٩/١.

(٤) مغني اللبيب ٣٠٥/١.

(٥) مصابيح المعاني في حروف المعاني ص٤٢٠ لابن نور الدِّين، المتوفى سنة ٨٢٥هـ.

النوع السادس من أنواع (لولا):

الاستفهام، ومثاله: قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠]، ورد بأنه للعرض وأنَّ المنقول عنه ذلك له اصطلاحٌ خاصٌ يسمَّى العرض استفهاماً، كما نقل عنه ذلك في (ألاَ)، والمنقول عنه ذلك هو الهروي[١].

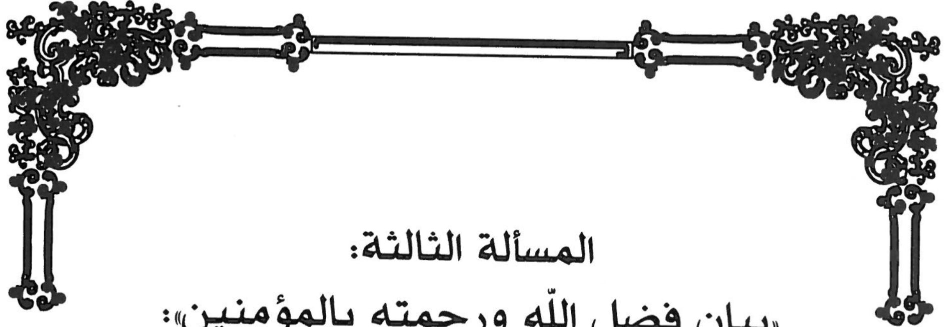
واعترض بأنه فيه معنى الطلب، وأنَّه صرَّح في بعض المواضع بأنَّ ذلك طلب.

والله تعالى أعلم.



(١) الهروي: أبو الحسن علي بن محمد، نحويٌّ وأديبٌ، له الذخائر في النحو، وشرح الأزهرية في معاني الحروف، توفي سنة ٣٧٠هـ.

معجم المؤلفين ٧/٢٣٦.



المسألة الثالثة:
«بيان فضل الله ورحمته بالمؤمنين»:

أصل الفضل في اللغة: الزيادة عن الاقتصار[١]. وهو ضد النقص[٢]. وهو نوعان: محمودٌ: كفضل العِلْمِ والحِلْمِ. ومذمومٌ: كفضل الغضب على ما ينبغي أن يكون عليه.

والفضل في المحمود أكثر استعمالاً، وإذا استعمل لزيادة أحد الشيئين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب:

أ ـ فضلٌ من حيث الجنس، كفضل الحيوان على النبات.

ب ـ فضلٌ من حيث النوع، كفضل الإنسان على غيره من الحيوان.

جـ ـ وفضلٌ من حيث الذات، كفضل رجل على آخر[٣].

فالأولان لا سبيل أن يزيل الناقص فيهما نقصه لكونهما جوهريان[٤] كالفرس، والحمار، لا يمكنهما أن يكسبا الفضل الذي خُصَّ به الإنسان. بخلاف الثالث، فإنه عَرَض[٥]، فقد يوجد السبيل إلى اكتسابه، ومنه قوله

---

(١) المفردات ص٣٨١.

(٢) لسان العرب ١١/٥٢٤.

(٣) المفردات للراغب الأصفهاني.

(٤) الجوهر: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في الموضوع. التعريفات للجرجاني ص٧٩.

(٥) العَرَض: هو ما يعرض في الجوهر مثل الألوان والطعوم وغيره مما يستحيل بقاؤه بعد وجوده. التعريفات ص١٤٩.

تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [النحل: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا﴾ أي: مالاً وما يكتسب، وقوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ يعني: بما خَصَّ به الرجل من الفضيلة الذاتية له، والفضل الذي أُعطيه من المكنة والمال والجاه والقوة، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ...﴾ [النساء: ٩٥]، ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ [النساء: ٣٢]، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وإذا تأملنا فضل الله تعالى رأيناه جسيماً، وقد أشار الله تعالى في سورة النحل إلى بعض ما تفضَّل به جلَّ وعلا علينا من تلك النعم العظيمة، لذلك كان بعض العلماء يسمي سورة النحل «سورة الامتنان»:

١ ـ خلقه جلَّ وعلا السماوات والأرض بالحق.

٢ ـ خلقه لنا من ماءٍ مهين.

٣ ـ خلقه جلَّ وعلا الأنعام لنا وما فيها من النعم.

٤ ـ خلقه جلَّ وعلا الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة.

٥ ـ خلقه لنا مراكب أخرى فأشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

٦ ـ خلقه جلَّ وعلا النجوم في السماء للاهتداء بها.

٧ ـ إخراجه اللبن من الضرع من بين الفرث والدم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين.

٨ ـ إخراجه جلَّ وعلا العسل من بطون النحل وفيه الشفاء.

٩ ـ إعطاؤه لنا موارد العلم: السمع، والبصر، والفؤاد. مع كوننا أخرجنا من بطون أمهاتنا ونحن لا نعلم شيئاً.

١٠ ـ إنزاله لنا القرآن الكريم تبياناً لِكُلِّ شيءٍ.

١١ ـ إنزاله الماء من السماء. وإنباته الثمرات من ذلك الماء.

١٢ - وأعظم فضل الله تعالى على خلقه، إرشاده جلَّ وعلا، وهدايته لهم بالإيمان[١]. ففضل الله تعالى علينا عظيم. سبحانه ما أكرمه.

أمَّا الرحمة: فأصلها المغفرة والإحسان[٢]، وهذا هو المناسب لرحمة الله تعالى أن تكون مغفرةً وإحساناً لخلقه.

بخلاف رحمة المخلوقين، فإنها رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم[٣].

وقد علم عند أهل السنة والجماعة أنَّ صفات الله تعالى ينبغي أن يُسْلَك معها مسلك النبيّ ﷺ، وصحابته، والتابعين، وذلك منحصرٌ في ثلاثة أمورٍ:

١ - التصديق لله جلَّ وعلا فيما قال عن نفسه، لأن قوله الحق، ولأنه جلَّ وعلا أصدق قيلاً.

٢ - تنزيه الله عزَّ وجلَّ عن مشابهة خلفه، كما قال تعالى عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

٣ - قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصافه بصفاته، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠][٤].

وهذه طريقة سلامة محققة، لأن الإنسان لو مات وسأله ربه لِمَ أثبتت الصفات؟ يقول: لأنك أخبرت بها عن نفسك، وأنت أصدق القائلين. وإذا قال: لِمَ نزهتني؟ يقول: لأنك نزهت نفسك. وإذا قال: لِمَ قطعت طمعك عن إدراك كيفية اتصافي بصفاتي؟ يقول: لأنك قلت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ﴾، بخلاف المُتأَوِّل فإنه لو سُئِلَ عن مستند من كتابٍ أو سنةٍ فإنَّه يعجز.

وبما تقدم يُعْلَم أنَّ فضل الله تعالى ورحمته بالمصدقين به معبوداً

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ١٩٠/٤، تفسير الطبري ١٨٣/٥.

(٢) لسان العرب ٢٣٠/١٢.

(٣) المفردات ص١٩٠.

(٤) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للوالد رحمه الله ص٢٥.

بالحق وحده عميم، ومن أعظم ما تفضَّل الله به عليهم أنَّ هداهم للإيمان، ثم غفر لهم ذنوبهم وأحسن إليهم بالمغفرة والنعم.

وقد بيَّن نبي الله إبراهيم ﷺ في سورة الشعراء كما قصَّ الله جلَّ وعلا عنه ذلك نعم الله عليه وعلى الخلق في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٢]. . سبحانه. . ما أعظمه!!

وكما بيَّن سبحانه وتعالى تفضله على الخلق بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: ٧٣].

ولقد خصَّ الله تعالى المؤمنين المتقين بأن جعل لهم من كل ضيقٍ فرجاً ومخرجاً، ووعدهم بأن يعطيهم نوراً يُفرِّقون به بين النافع والضار، وأن يغفر لهم ذنوبهم، ووعد المؤمنين الصادقين بالنصر، فقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الدخان: ٥١، ٥٢].

وقد بيَّن الله جلَّ وعلا أوصاف المؤمنين بأنهم على هدايةٍ ورشادٍ من خالقهم، والله تعالى أكرمهم بأن تفضل عليهم بالإيمان بالغيب، وهداهم إلى إقامة الصلاة، وتأدية الزكاة، والتصدق من أموالهم.

كما تفضل عليهم بالإيمان بجميع الرسل، وبجميع الكتب، وكذلك تفضل عليهم بالإيمان بيوم القيامة. . هؤلاء أخبر الله تعالى عنهم أنهم أدركوا ما طلبوا، وأنهم أمِنُوا مِمَّا خافوا منه، وذلك هو الفلاح.

فما أكثر فضل الله تعالى على المؤمنين، وما أشمله! وعطاؤه يوم

القيامة أكثر وأعظم!! «**عجباً للمؤمن إنَّ أمره كله له خير.. إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له.. وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له.. وليس ذلك لغير المؤمن**»[1].



(١) شرح السنة للبغوي ٤٤٨/٥، وانظر: صحيح مسلم **٢٢٩٥/٤** كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير ونصه: عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمر المسلم إنَّ أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلاَّ للمؤمن، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له**».
وانظر: مسند الإمام أحمد ١٧٣/١.

المسألة الرابعة:
اتباع الشيطان «أسبابه، والمنقذ منه»:

فالاتباع معروفٌ، وهو أن يقتفوا أثر غيرهم، سواء كان بالارتسام أم الائتمار[1].

وقال ابن منظور: تبعت الشيء تبوعاً: سرت في أثره[2].

قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ [يس: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣].

والشيطان: فيعال، من شطن إذا بعد. أو هو: فَعْلان، من شاط إذ احترق. والأول هو الصحيح. والثاني مرجوح.

وهو اسم لكلّ عاتٍ متمردٍ من الإنس والجن والحيوانات، قال تعالى: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]. وفي الحديث: «**الكلب الأسود شيطان**»[3].

---

(١) المفردات للراغب ص٧٢.

(٢) لسان العرب ٢٧/٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي ٣٦٥/١ رقم الحديث ٢٦٥، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يقطع الصلاة ٤٥١/١، والترمذي في كتاب الصلاة، والنسائي في كتاب الصلاة والصيد، وابن ماجه في الإمامة، والإمام أحمد في المسند ١٤٩/٥، ١٥٧/٦.

ولكون الشيطان خُلِقَ من مارجٍ من نارٍ اختصَّ بالقوة الغضبية وبالحمية الذميمة، وامتنع من السجود لآدم، وسمي كل خُلُقٍ دميمٍ للإنسان شيطاناً. فقيل: الحسد شيطان. والغضب شيطان.

وأمّا أسبابه: فالأسباب جمع سبب، وهو ما يتوصل به إلى المطلوب، ولذلك أكثر أسباب اتباع الشيطان: الهوى، والجهل. وذلك الذي يعبر عنه بعض العلماء بالشهوة، والشبهة.

ولذلك كيد الشيطان ضعيفٌ، وقد حمى الله منه المؤمنين. والشيطان لعنه الله يُلْبِس ويُوَسْوِسُ إلى كل أحدٍ من المسلمين حسب مستواه العلمي ودرجته الإيمانية فالذي إيمانه ضعيف يشككه في الإسلامِ، وفي الدين عموماً، والذي إيمانه قوي يُسَوِّف به ويقول له: أنت الآن لا تفعل البِرَّ ولكن بعد كذا وكذا تتوب وتعمل البر والأعمال الصالحة. والذي يغلب الشيطان فيقوم بأعمال البر يُحَاوِلُ إدخال الرياء عليه ويقول له: إنك لأنت الوحيد في العبادة والزهد، وإنَّ الناسَ لتذكرك بالخير، تمدحك على عبادتك وأعمالك الصالحة، حتى يحبط عمله بإدخال الرياء والعجب فيه. والذي لا يستطيع الشيطان أن يدخل له الرياء يشغله بالمفضول عن الفاضل، وفي النهاية يقول للذين أضلهم ما قصَّ الله تعالى علينا في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

الشيطان يأتي لابن آدم عن طريق الشهوة، فينبغي أن يخالف ما يُحِب ويأتيه عن طريق الشبهة، فينبغي أن يتعلم العلم الشرعي الذي به يُحَصِّن نفسه عن ذلك.

أمّا المُنقذ من الشيطان قبل مخالفة النفس، وتعلّم العلم، فهو الالتجاء إلى الله تعالى بالاستعاذة به من الشيطان، وهذا خصوص الشيطان الجني، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النحل: ٩٨، ٩٩].

ومن المنقذ من الشيطان الرجيم: الاهتداء المذكور في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فقد بينوا أنَّ الاهتداء في أصحِّ الأقوال هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك هو الدعوة إلى الله تعالى، فإنَّ الشيطان إذا سمع الدعاء إلى الصلاة هرب من المسجد وله ضراط.. فأكبر ما يحمي الداعية من الشيطان الدعوة نفسها، لأنَّ الشيطان داعٍ إلى مذهبه، وهو الإضلال والتكذيب والتكفير، والمسلم داعٍ إلى مذهبه، وهو اتباع الأوامر من الله تعالى واجتناب النواهي، فأهل الصناعة الواحدة إذا كانت أهدافهم مختلفة يكون بينهم التباغض، ولذلك لا يخاف الشيطان إلاَّ من الدعاة المخلصين الصادقين، ولا يحزنه إلاَّ تعلّم العلم الشرعي وفهم المسلم للدين الصحيح، لأنَّ ذلك سبب في فشل الشيطان في دعوته.

فتبيَّن مما تقدم أنَّ الشيطان عدوٌّ لبني آدم، وأنهم يجب عليهم أن يتخذوه عدوّاً حتى يسلموا من شره، وأنه أقسم ليغوين بني آدم، إلاَّ المخلصين لله تعالى، فإنه لا يقدر عليهم، والله تعالى عصمهم منه. وأنَّ غوايته تكون عن طريق الشهوة، فإنه يزين للإنسان ما عمله، وأنه أعز شيءٍ وأغلاه، وأحياناً عن طريق الشبهة، وأنَّ هذا في مصلحة ومنفعة له.

وأنَّ المُنْقِذَ من ذلك:

١ ـ مخالفة الهوى وعدم اتباع الإنسان له.

٢ ـ تعلّم العلم الشرعي والتزود بالفهم السليم.

٣ ـ دوام الاستعاذة والالتجاء إلى الله منه، وأن يحمينا من شره، إنه سميع الدعاء، فالله تعالى أخبر أنه يجيب الداعي إذا دعاه.

٤ ـ تقوى الله تعالى، لأنَّ التقي يحفظه الله من كيد الشيطان.

٥ ـ الإخلاص في العمل من الأسباب التي تبعد الشيطان عن الإنسان لأنَّ المخلص لله تعالى يخلصه الله من الشيطان وكيده.

٦ ـ دوام ذكر الله تعالى، لأنَّ ذكر الله تطمئن به القلوب.

٧ ـ سؤال الله تعالى الهداية والتوفيق، لأنه كريم.

وقبل كل ذلك توفيق الله تعالى وتسديده للعبد، لأنَّ السعيد من سعد في بطن أمهم، والشقي من شقى في بطن أمه، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [الحديد: ٢٢].



المسألة الخامسة:
دلالة (إلاَّ) في القرآن الكريم، والمعاني التي تأتي لها:

(إلاَّ) حرف استثناء، وقد جاءت في القرآن الكريم لعدة معاني، وقبل ذكر تلك المعاني، أورد الآيات التي جاءت فيها (إلاَّ) لتظهر تلك المعاني، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَٰنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس: ٩٨].

فمن المعاني التي جاءت لها (إلاَّ) أنها حرف استثناء ينصب ما بعده أحياناً، ويرفع أحياناً، ويجوز فيه الأمران أحياناً.

ولذلك أقول: إنَّ (إلاَّ) جاءت لأربعة أوجه في القرآن الكريم:

الوجه الأول: حرف استثناء:

سواء أكان الاستثناء مفرَّغاً أم كان تاماً موجباً، أم كان منقطعاً. وسواء أكان بعدها استثناء آخر مما استثنى منه، فإنَّ ذلك لا يعدو أن تكون (إلاَّ) حرف استثناء(١).

فمن الاستثناء الموجب قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾

---

(١) دراسات في أسلوب القرآن ١٣٩/١، وحاشية التصريح ٣٥٩/١، والرضي في شرح الكافية ٢٢٧/١.

ومن الاستثناء المنفي قوله تعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْۚ﴾ [النساء: ٦٦]، ويكون فيها من المعنى تحقيق ما نفى عن الاسم الأول، وإيضاح ذلك: أنَّا إذا قلنا: قام القوم إلاّ زيدٌ، فقد عُلِمَ أنَّ (إلاّ) مخرجة، وأنَّ زيداً مخرجٌ، وما قبل إلاّ مُخْرَجٌ منه غير أنه تقدم قبل إلاّ شيئان: القيام، والحكم به، والقاعدة العقلية أنَّ من خرج من نقيض(١) دخل في النقيض الآخر. فمن خرج من العدم، دخل في الوجود، وبالعكس(٢).

وبهذا يكون الاستثناء ما لا يدخل في الكلام إلاّ لإخراج بعضه بلفظه، ولا يستقل بنفسه(٣).

الوجه الثاني: أن تكون (إلاّ) بمنزلة (غير):

في الوصف بالمغايرة وخلاف المماثلة، ويتبع ما بعدها ما قبلها في الإعراب، كما تجري (غير) إذا أردت بها النعت، فتقول: قام القوم إلاّ زيدٌ، فيرفع ما بعد (إلاّ) في الموجب، لأنها نعت بمعنى (غير)، كما تقول: قام القوم غير زيدٌ، فترفع (غير) بعد الموجب إذا أردت بها النعت لا الاستثناء. قال عمرو بن معدي كرب(٤)، وقيل: لحضرمي بن عامر(٥):

وكلُّ أخٍ مفارقه أخوه ... لعمر أبيك إلاّ الفرقدان

يعني: «غير الفرقدان». فهنا رفع بعد (إلاّ) وإن كان الكلام موجباً لأنها بمعنى (غير) كما تقدم.

---

(١) النقيض: نَقَضَ العهد من باب نَصَرَ، والمناقضة في القول أن يتكلم بما يتناقض معناه. ترتيب مختار الصحاح للرازي ص٨٠٨ باب النون. ط. دار المعرفة.

(٢) شرح تنقيح الفصول ص٢٤٨، حاشية البناني على جمع الجوامع ١٥/١.
وانظر: مصابيح المعاني في حروف المعاني للموزعي ص٢٠٩.

(٣) الاستغناء في أحكام الاستثناء ص٩٦، والمحصول ٧٦٣/٢.

(٤) ديوانه ص١٧٨، والكتاب لسيبويه ٣٣٤/٢، والإنصاف ص٢٦٨، وشرح المفصل لابن يعيش ٨٩/٢.

(٥) المؤتلف والمختلف ص٨٥.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقد أنشدوا لجرير:

لو كان غيرى سليمى الدهر غيره وقع الحوادث إلاَّ الصارم الذَّكر

فقوله: إلاَّ الصارم الذكر صفة لغير.

الوجه الثالث: أن تكون (إلاَّ) عاطفة:

بمنزلة الواو في الجمع والتشريك. ذكر ذلك الأخفش[(١)]، والفراء[(٢)]، وأبو عبيدة[(٣)].

قال المخبل السعدي[(٤)]:

وأرى لها داراً بأغدرة السيدان لم يدرس لها رسم
إلاَّ رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد السُّحم[(٥)]

أراد: أرى لها داراً ورماداً.

وجعله منه قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [البقرة: ١٥٠]، أي: ولا الذين ظلموا، وقوله تعالى: ﴿لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ [النمل: ١٠، ١١]، أي: ولا من ظلم، وتأوله البصريون على الاستثناء المنقطع[(٦)].

قال ابن الأنباري: ذهب الكوفيون إلى أنَّ (إلاَّ) تكون بمعنى (الواو)،

---

(١) معاني القرآن للأخفش ١٥٢/١.
(٢) معاني القرآن للفراء ٨٩/١، ٢٨٧/٢.
(٣) مجاز القرآن ٦٠/١.
(٤) أبو يزيد الفريعي، شاعر مخضرم فحل، عمَّر طويلاً، وقد توفي في خلافة عمر، أو أول خلافة عثمان.
خزانة الأدب ٥٣٦/٤.
(٥) المفضليات ص١١٤، ومعاني القرآن للأخفش ١٥٢/١.
(٦) الإنصاف ٢٧١/١، الكشاف ٥٧٥/١، ٥٧٦.

وذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعناها، قال الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] أي: ومن ظلم لا يحب الجهر بالسوء من القول أيضاً، وقد ردّه الزمخشري في كشافه في تفسير الآية.

كما ردَّ البصريون حجج الكوفيين بأنَّ (الواو) للجمع و (إلاَّ) للإخراج. فالواو مقتضية للجمع، وإلاَّ مقتضية للاستثناء، فلا يكون أحدهما بمعنى الآخر[١].

الوجه الرابع: أن تكون زائدة:

قاله الأصمعي[٢]، وابن جني[٣]، واستدلا بقول ذي الرمة[٤]:

حراجيج ما تنفك إلاَّ مناخة   على الخسف أو ترمي بها بلداً قفرا

ومثلوا له من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١].

وذهب بعضهم إلى أنَّ (إلاَّ) زائدة، والتقدير بما لا يسمع دعاء ونداء، وهذا ضعيف، لأنَّ القول بزيادة (إلاَّ) قولٌ بلا دليل.

وللمخالف أن يقول: بل هذا دليل. وقد أثبت ذلك الأصمعي وابن جني، كما تقدم، ومثلوا له ببيت غيلان السابق [ذي الرمة][٥].



---

(١) الإنصاف ٢٦٩/١، خزانة الأدب للبغدادي ٥٢/٢.

(٢) المغني ص٣٧٦، والارتشاف ٢٩٤/٢.

(٣) عثمان بن جني أبو الفتح النحوي الأديب، لازم الفارسي، له: الخصائص، والمحتسب. توفي سنة ٣٩٢هـ.

(٤) ديوانه ص٢٤٠.

(٥) المغني ٦٩/١، والأشموني ٢٥٧/١.

المسألة السادسة:
معنى كلمة «قليلاً»
في القرآن الكريم بعد بيانها في اللغة العربية:

القليل: خلاف الكثير، كالقِلَّة خلاف الكثرة، وقد قلَّ، يَقِلُّ، قِلَّة، وقلاً، والقلال القليل[1].

قال تعالى: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣]، وكلُّ ذلك للمعنى المخالف للكثرة. فالقليل ضد الكثير.

ويطلق على الجزء اليسير من الشيء، أو يطلق على الشيء اليسير في نفسه. وكذلك في المَثَلِ: «القليلُ من الكثيرِ كثيرُ، والكثيرُ من القليلِ قليلُ».

وأكثر ما تطلق القلة والكثرة على الأعداد، كما أنَّ العظم والصغر يستعملان في الأجسام، ثم استعمل كلُّ واحدٍ من الكثرة والعظم، ومن الصغر والقلة للآخر على سبيل التوسع في العبارة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠] أي: وقتاً قليلاً، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ [لقمان: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا

---

(١) لسان العرب ٥٦٤/١١ مادة (قلّ)، والقاموس المحيط ٤٠/٤، ٤١ ط. الحلبي، في (قلَّ).

قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠]أي: قتالاً قليلاً، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] أي: جماعة قليلة.

كما يكنى بالقلة عن الذلة، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقول الشاعر:

ولست بالأكثر منهم حصاً ... وإنما العزة للكاثر

وقليل يعبر به عن النفي، نحو: قلَّما يفعل فلانٌ كذا وكذا. ولهذا يصح أن يستثنى منه على حد ما يستثنى من النفي، فيقال: «قلَّما يفعل كذا إلاَّ قاعداً أو قائماً». وعلى ذلك حُمِلَ قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١] في أحد التفسيرات[(١)].

وإذا نظرنا إلى الاستعمالات الحاصلة في القرآن الكريم لكلمة قليلاً وجدناها سبعاً[(٢)]:

الأول: بمعنى يسير، وذلك نحو قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: ٧٩].

الثاني: بمعنى الرياء والسمعة، نحو قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية: ١٨] أي: دفعاً وتعذيراً[(٣)].

الثالث: قليلاً بمعنى لا شيء، نحو قوله تعالى في سورة غافر: ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: ٥٨]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]، وكقوله تعالى في سورة الملك: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: ٢٣] يعني: أنهم لا يشكرون وأنهم اشتروا بآيات الله الخسارة والضياع، يعني: «لا شيء».

---

(١) المفردات ص٤١٠ لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ.

(٢) إصلاح الوجه والنظائر في القرآن الكريم ص٣٨٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١١/١٣٩.

وهذا على رأي القائل بذلك، ومثله قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ يعني: أنهم لا يؤمنون البتة، ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الآيتان: ٤١، ٤٢] أي: أنهم لا يتذكرون البتة.

الرابع: القليل في الكثير، كقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الآية: ٥٤] يعني: قليلين في كثرتنا.

الخامس: قليل: ثلاثمائة وثلاثة وعشر، وهم قوم طالوت، وعدة أصحاب أهل بدر، كما قال تعالى: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ﴾ [البقرة: ٢٤٩] يعني: ثلاثمائة وثلاثة عشر. رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير وغيرهما[١].

السادس: ثمانون نفساً أربعون رجلاً وأربعون امرأةً على عِدَّة من كان في سفينة نوح عليه وعلى نبيّنا محمدٍ الصلاة والسلام[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، وهذا لا يقبل إلاَّ بعد الثبوت لكونه لا مجال للرأي فيه. وقد وردت في ذلك روايات أغلبها منقول عن الإسرائيليات.

السابع: القليل: عبدالله بن عباس، عند بعض المفسرين لقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ﴾ [الآية: ٢٢]، كما روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما بسندٍ صحيحٍ قال: «أنا من القليل»[٣]. ذكر ذلك جلال الدِّين السيوطي رحمه الله[٤].



---

(١) الدر المنثور ١/٧٦٠.

(٢) الدر المنثور ٤/٤٣١.

(٣) الطبراني في الأوسط، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير الطبري.

(٤) انظر: الدر المنثور ٥/٣٧٥، ٣٧٦.

المسألة السابعة:
تفسير الآية الكريمة،
وذكر أقوال العلماء فيها:

يُخبر الله تعالى أنَّ هناك طائفة مبيتة الشرَّ، وأنها تضمر وتعزم على مخالفة النبيّ ﷺ، فإذا وصل خبر عن سرية فإنهم يبادرون بنشره وإعلانه على الناس سواء أكان ذلك الخبر في صالح المسلمين أم كان فيه خطرٌ عليهم، ولو جعلوا الإخبار بذلك الأمر إلى النبيّ ﷺ أو أمرائهم وسكتوا فلم يذيعوا ما جاءهم من الخبر حتى يكون الرسول ﷺ أو ذوو أمرهم هم الذين يقولون الخبر عن ذلك بعد أن ثبت عندهم صحته أو بطوله، فيصححوه إن كان صحيحاً، أو يبطلوه إن كان باطلاً، لَعَلِمَ حقيقة ذلك الأمر وذلك الخبر الباحِثُ أوَّل الأمر عنه والمتحسس له المتلهف على معرفة الأمور المتطلع لها، بكثرة السؤال واستخراج الخبر، ولولا إنعام الله عليكم أيها المؤمنون بفضله وتوفيقه ورحمته، فأنقذكم مما ابتلى به هؤلاء المنافقين الذين يقولون لرسول الله ﷺ إذا أمرهم بأمر طاعة: ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ [النساء: ٨١] لكنتم مثلهم فاتبعتم الشيطان إلاَّ قليلاً كما تبعه هؤلاء الذين وصف صفتهم[١].

وهذه الآية ينبغي أن أشير إلى المعاني التي سبقتها ليكون ذلك أدعى إلى فهمها.

---

(١) تفسير الطبري ٥٦٨/٨ ـ ٥٧٨.

فالتبييت: كلُّ عملٍ دُبِّرَ ليلاً. وفي تسميته بياتاً قولان: إمَّا لأنه مشتقٌ من البيات أي: الليل، أو من البيوت يعني: الدخول والهدوء فيها[1].

وفي المراد بقوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها غيَّرت ما أضمرت من الخلاف فيما أمرتهم به أو نهيتهم عنه.

وهذا مرويٌّ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادة، والسدي.

الثاني: معناه: فدبرت غير الذي تقول على جهة التكذيب. وهذا قول الحسن وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يكتبه في اللوح المحفوظ ليجازيهم عليه. **والثاني**: يكتبه بأن ينزله إليك في الكتاب. وهذا قول الزجاج.

وأصل التدبير: النظر في عواقب الأمور.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]: في الاختلاف هنا ثلاثة أقوال:

١ ـ تناقض من جهة حقٍ وباطلٍ، وهذا قول قتادة، وابن زيد.

٢ ـ من جهة بليغٍ ومرذولٍ، وهذا قول بعض البصريين.

٣ ـ اختلاف في الأخبار عما يسرون. ونُسِبَ للزجاج.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] ثلاثة أقوال:

١ ـ أنهم الأمراء. وهذا قول ابن زيد، والسدي.

٢ ـ هم أمراء السرايا.

٣ ـ هم أهل العلم والفقه. وهذا قول الحسن، وقتادة، وابن جريج، وابن نجيم، والزجاج[2].

وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم

---

(١) النكت والعيون للماوردي ٤٠٨/١.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٦٠٠/٢.

أولوا الأمر. **والثاني**: أنهم المنافقون أو ضعفة المسلمين المقصودون بأول الآية. ومعنى ﴿يَسْتَنبِطُونَهُۥ﴾ يستخرجونه، مأخوذ من استنباط الماء(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، في ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ هٰهنا ثلاثة أقوال:

١ ـ فضل الله يعني النبيّ ﷺ.

٢ ـ الثاني القرآن الكريم وما فيه من الحجج.

٣ ـ اللطف والتوفيق من الله تعالى على الخلق.

وفي قوله تعالى: ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أربعة أقوالٍ:

١ ـ ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم، فإنه لم يكن يتبعه.

٢ ـ ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ إلاَّ قليلاً. وهذا قول الحسن وقتادة.

٣ ـ ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ إلاَّ قليلاً، وهذا قول ابن عباس، وابن زيد.

٤ ـ ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ من الاتباع(٢).

وقد أخرج مسلم وغيره من طريق ابن عباس رضي الله عنهما، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لما اعتزل النبيّ ﷺ نساءه، دَخَلْتُ المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصا ويقولون: طلّق النبيّ ﷺ نساءه. فقمت على باب المسجد وقلت: لم يُطلّق النبيّ ﷺ نساءه بأعلى صوتي»(٣).

ومحل الشاهد من الحديث: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل النبيّ ﷺ عن القصة حتى استخرج منه الحكم واستنبطه، وعند ذلك أعلنه للناس، وذلك مما نزل فيه قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ على أحد التأويلات في الآية.

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ٦٠٢/٢ ط. دار الفكر. بيروت.

(٢) النكت والعيون للماوردي ٤٠٩/١، وتفسير القرطبي.

(٣) الدر المنثور ٦٠٠/٢ ط. دار الفكر. بيروت.

وبما تقدّم يتضح أنَّ معنى الآية: أنَّ ضعيفي الإيمان أو المنافقين إذا سمعوا ما فيه أمن أو خوف نشروه وتحدّثوا به قبل أن يقفوا على حقيقته، ولو لم يحدّثوا به ولم يفشوه حتى يكون النبيّ ﷺ هو الذي يتحدّث به ويفشيه، أو أهل العلم والفقه، أو الأمراء، أو أمراء السرايا الذين يعلمون ما ينبغي أن يُفشى منه وما ينبغي أن يُكْتَم[(١)].

وقال ابن عطية: المعنى: هؤلاء المنافقون الطاعنون عليك في شأن نبوتك، ألا يرجعون إلى النصفة وينظرون موضع الحجة ويتدبرون كلام الله تعالى، فتظهر لهم براهينه وتلوح لهم أدلته، إذ لو كان من كلام البشر لدخله ما في كلام البشر من القصور وظهر فيه التناقض والتنافي الذي لا يمكن جمعه في كلام البشر، والقرآن منزه عنه، لأنه كلام المحيط بكل شيءٍ علماً، فإن عُرِضَت لأحدٍ شبهة وظن اختلافاً في شيء من القرآن، فالواجب أن يتهم نفسه ويسأل من هو أعلم منه[(٢)].

والآية في سرايا رسول الله ﷺ وبعوثه، وأنَّ المنافقين كانوا شرهين إلى سماع ما يسوء النبيّ ﷺ في سراياه، فإذا طرأت عليهم شبهة أمنٍ للمسلمين، أو فتح عليهم، حقروها وصغروا شأنها، وأذاعوا بذلك التحقير والتصغير. وإذا طرأت لهم شبهة خوفٍ للمسلمين أو مصيبة، عظَّمُوها، وأذاعوا ذلك التعظيم وأفشوه، أو يتَّبِعونها مع من أذاعها بأن كان المقصود من لم يكن له تجربة من أصحاب السرايا وهم غير متثبتين في صحتها، مِمَّا يدُلُ على قلة تجربتهم.

ولولا هداية الله وإرشاده لكم بالإيمان، وذلك فضل منه ورحمة، لكنتم على كفركم، وذلك هو اتباع الشيطان.

ثُمَّ إنَّ المتأولين اختلفوا في حقيقة هذا الاستثناء[(٣)]، وقد رجَّحَ الطبري

---

(١) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٥/٢٩٢.
وانظر: زاد المسير ٢/١٤٨ ط. المكتب الإسلامي.

(٢) المحرر الوجيز ٤/١٨٦ ـ ١٨٨.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٤/١٩٠.

أنه مستثنىً من أذاعوا به، وهو قولٌ لابن عباس، وابن زيد.

وقد دحض الطبري غير هذا القول حيث قال: وإنما اخترنا هذا القول لأنه غير جائز أن يكون من اتبعتم الشيطان، لأنَّ من تفضَّل الله عليه برحمته، فغير جائز أن يكون من اتباع الشيطان، وغير جائز أن تُحمل معاني كتاب الله على غير الأغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب في كلام العرب، ولنا إلى حمل ذلك على الأغلب من كلام العرب سبيل فنوجهه إلى المعنى الذي وجهه إليه القائلون بنفي ذلك لاتبعتم الشيطان جميعاً، ثم زعم أنَّ قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ دليلٌ على الإحاطة بالجميع، هذا مع خروجه من تأويل أهل التأويل.

وكذلك لا وجه إلى توجيه ذلك إلى الاستثناء من قوله: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ لأن علم ذلك إذا رُدَّ إلى رسول الله ﷺ وإلى أولي الأمر منهم، فبيّنه رسول الله ﷺ، وأولوا الأمر منهم بعد وضوحه لهم، استوى في علم ذلك كلُّ مستنبطٍ حقيقة، فلا وجه لاستثناء بعض المستنبطين منهم، وخصوصُ بعضهم بعلمه مع استواء جميعهم في علمه. وإذا كان لا قول في ذلك إلاَّ ما قلنا، فَدَخَلَ هذه الأقوال ما بيَّنا من الخلل، فتبيَّن أنَّ الصحيح من الأقوال هو الاستثناء من الإذاعة(١).

وقال العلاَّمة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: والكلام مسوقٌ مساق التوبيخ للمنافقين، واللوم لمن يقبل تلك الإذاعة من المسلمين الأغرار، ويتسرع بالإذاعة قبل انتهاء الأمر إلى الرسول ﷺ ووفادة الصحابة ليضعوه موضعه ويعلموهم محامله.

وقيل: كان المنافقون يختلقون الأخبار من الأمن أو الخوف، وهي مخالفة الواقع، لَظَنَّ المسلمون الأمن حين الخوف، فلا يأخذوا حذرهم، أو الخوف حين الأمن فتضطرب أمورهم، وتختل أحوال اجتماعهم، فكان دُهَمَاءُ المسلمين إذا سمعوا ذلك من المنافقين راج عندهم فأذاعوا به، فتمَّ

(١) تفسير الطبري ٥٧٨/٨ (بتصرف يسير).
وانظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢٧٩/١.

للمنافقين الدسَّ، وتَمَشَّتِ المكيدة، فلامهم الله وعلَّمهم أن يُنهُوا الأمر إلى الرسول ﷺ، وجلة الصحابة قبل إشاعته ليعلموا كُنْه الخبر وحاله من الصدق أو الكذب ويأخذوا لكل حال حيطتها، فيسلم المؤمنون من مكر المنافقين الذين قصدوه.

ويجوز أن يكون المعنى: ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلم ذلك المنافقون الذين اختلقوا الخبر ولخابوا، إذ يوقنون أنَّ حيلتهم لم تخف على المؤمنين، فيكون الموصول صادقاً على المختلقين بدلالة المقام، وهذا وإن كان محتملاً فهو بعيد كما ترى[١].

وإذا أنعمنا النظر في هذه الآية وجدنا سبب الخفاء فيها راجعٌ إلى أنَّ الأقوال الموجودة في الآية لا يخلو واحدٌ منها من إشكالٍ في الجملة. وذلك في الأقوال التي لم يرجحها الطبري بما ذكره فيها.

أمَّا القول الذي رجحه الإمام الطبري رحمه الله تعالى، فإنَّ الاعتراض عليه يكون بأنَّ الكلام فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، مما لا يجعل نظم القرآن على وتيرةٍ واحدةٍ، حيث يكون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ مستثنىً من قوله: ﴿أَذَاعُوا بِهِۦ﴾، فالكلام فيه تقديمٌ وتأخير، وذلك مما يستبعده جلَّة من العلماء. ويجعلون الكلام على ظاهره، أي: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بإرسال الرسل ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ مما كان عنده علم سابق إمَّا بتعليمٍ أو إلهامٍ، وعلى هذا يكون فضل الله هو إرسال الرسل.

كما أنَّ اختيار كون ﴿قَلِيلًا﴾ بمعنى لا شيء هو سائغ ويمشي مع ظاهر اللغة، وهو أنَّ ﴿قَلِيلًا﴾ تطلق على لا شيء، ويكون ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ كلكم. وكون ﴿قَلِيلًا﴾ بمعنى لا شيء فيه نوع بُعْدٍ كما صرّح بذلك أبو حيان في البحر المحيط[٢]، وسبقه الإمام الطبري.

(١) التنوير والتحرير ١٣٩/٥، ١٤٠.
(٢) البحر المحيط ٣٠٧/٣، ٣٠٨.

وهذا القول الذي استبعده الطبري وأبو حيان هو أقرب الأقوال عندي، وإن كنت لا أرى بُعْداً في بقية الأقوال، لأن الاعتراضات التي ذُكِرت يُحتمل دفعها.

إلاَّ أنَّ اختيار ابن جرير قد عارضه فيه بعض العلماء، جاعلاً سياق الآية وعدم جعل الكلام فيه تقديماً وتأخيراً أرجح من كون الكلام فيه تقديمٌ وتأخيرٌ. قال الزمخشري: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ وهو إرسال الرسل، وإنزال الكتب، والتوفيق، ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ لبقيتم على الكفر ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾، أو إلاَّ اتباعاً قليلاً لِمَا ذُكِرَ قبل من تثبطهم عن القتال وإظهارهم الطاعة وإضمارهم خلافها[1].

وقال أبو حيان في البحر المحيط[2]: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هذا خطاب للمؤمنين باتفاقٍ من المتأولين، والمعنى: ولولا هداية الله لكم وإرشاده، لبقيتم على كفركم، وهو اتباع الشيطان.

وقيل: «الفضل» الرسول. وقيل: الإسلام. وقيل: القرآن.

وقيل في «الرحمة»: أنها الوحي. وقيل: اللطف. وقيل: النعمة. وقيل: التوفيق. والظاهر أنَّ الاستثناء من فاعل «اتبعتم».

قال الضحاك: هدى الكل منهم للإيمان، فمنهم من تمكن فيه حتى لم يخطر له قط خاطر شك، ولا عنت له شبهة ارتياب. وذلك هو القليل، وسائر من أسلم من العرب لم يخل من الخواطر، فلولا فضل الله بتجريد الهداية لهم لضلوا واتبعوا الشيطان، ويكون الفضل معيناً أي رسالة محمدٍ ﷺ والقرآن، لأن الكل إنما هُدِيَ بفضل الله على الإطلاق.

وقال قوم: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إشارة إلى من كان قبل الإسلام غير متبعٍ للشيطان على ملة إبراهيم أدركوا بعقولهم معرفة الله ووحّدوه قبل أن يُبعثَ

(١) انظر: الكشاف ٥٤٨/١.

(٢) ٣٠٧/٣.

الرسول ﷺ، كزيد بن عمرو بن نفيل أدرك فساد ما عليه اليهود والنصارى والعرب، فوحّد الله وآمن به. وعلى هذاالقول يكون الاستثناء منقطعاً، وقد جعله الزمخشري استثناءً من الاتباع، أي: إلاَّ اتباعاً قليلاً، فجعله استثناءً من المصدر الدال عليه الفعل «اتبعتم» لأن كل فعلٍ كامِنٌ فيه الاسم الذي هو المصدر، كما أشار إلى ذلك ابن مالك في الخلاصة إلى تعريف المصدر بقوله:

المصدر اسم ما سوى الزمان من ... مدلولي الفعل كأمْنٍ من أمِن

وقال ابن عطية في تقدير أن يكون استثناءً من الاتباع: أي: اتبعتم الشيطان كلكم إلاَّ قليلاً من الأمور كنتم لا تتبعونه فيها. ففسره في الاستثناء بالمتبع فيه، فيكون استثناءُ من المتبع فيه المحذوف، لا من الاتباع. ويكون استثناءً مفرغاً، والتقدير: لاتبعتم الشيطان في كل شيء إلاَّ قليلاً من الاستثناء فلا تتبعون فيه، وكلا القولين محتمل.

وقال قوم: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ عبارة عن العدم، يريد لاتبعتم الشيطان كلكم[1].

وقال العلاَّمة الألوسي[2] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: خطابٌ للطائفة المذكورة آنفاً بناء على أنهم ضعفة المؤمنين بناءً على طريقة الالتفات، والمراد من الفضل والرحمة شيء واحد، أي: لولا فضل الله عليكم ورحمته بإرشادكم إلى سبيل الرشاد الذي هو الردّ إلى النبيّ ﷺ وإلى أولي الأمر ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ وعملتم بآرائكم الضعيفة أو أخذتم بآراء المنافقين فيما تأتون وتذرون، ولم تهتدوا إلى صوت الصواب ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهم أولوا الأمر المستنيرة عقولهم بأنوار الإيمان الراسخ، الواقفون على الأسرار، الراسخون في معرفة الأحكام بواسطة الاقتباس من مشكاة النبوة، فالاستثناء منقطع، أو الخطاب للناس، أي: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ

(١) تفسير ابن عطية «المحرر الوجيز» ١٩٠/٤، البحر المحيط ٣٠٨/٣، الكشاف ٥٤٨/١.
(٢) روح المعاني ٩٥/٥.

﴿عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ تعالى بالنبيّ ﷺ ﴿وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ بإنزال القرآن، كما فسرها بذلك السدي والضحاك ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ﴾ كلكم ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ وبقيتم على الكفر والضلالة ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ منكم، قد تفضل الله عليه بعقلٍ راجحٍ اهتدى به إلى طريق الحق، وسلم من مهاوي الضلالة، وحصنتم من متابعة الشيطان من غير إرسال الرسول عليه الصلاة والسلام، وإنزال الكتاب، كقس بن ساعدة الإيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، فالاستثناء متصل، وإلى ذلك ذهب ابن الأنباري.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى[1] مفسراً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾ [النساء: ٨٣]: إنكارٌ على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها وقد لا يكون لها صحة، وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «**كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكل ما سمع**»[2].

وفي الصحيحين: عن المغيرة بن شعبة أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن قيل وقال[3]...، يقصد صلوات الله وسلامه عليه الذي يُكثِر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبتٍ ولا تدبرٍ ولا تبيينٍ[4].

وفي صحيح مسلم: (فسكت - أعني عمر - أطلقتهن؟ قال: «**لا**». فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه) ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ...﴾ الآية. قال عمر؛ فكنت أنا استنبطت الأمر[5].

الراجح عندي في هذه الآية:

التوقف عن الترجيح، وذلك للأمور التالية:

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٢١/٢ ط. الشعب.

(٢) مسلم في مقدمته ٨/١.

(٣) البخاري ١٣٤/٨، ومسلم في الأقضية ١٣٠/٥، ١٣١.

(٤) تفسير ابن كثير ٣٢١/٢ ط. الشعب.

(٥) تفسير ابن كثير ٣٢٢/٢.

أولاً: الإجمال الحاصل في قوله تعالى: ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾.. ما المقصود بها هنا؟ هل المقصود النبيّ ﷺ؟ أو القرآن؟ أو الهداية؟ أو غير ذلك؟

ثانياً: الإجمال الحاصل في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبَعْتُمُ﴾.. هل اتباعٌ كامل مُخرِجٌ عن الإسلام، فيكون الكفر؟ أو اتباعٌ يُفَسِّق صاحبه ولا يُخرِجه عن الإسلام؟

ثالثاً: ضمير المخاطبين ﴿ٱتَّبَعْتُمُ﴾ هل للمسلمين؟ أو للمنافقين؟ أو لجميع الخلق؟

رابعاً: الإجمال الحاصل في ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ هل هو مستثنىً على ظاهره؟ ومِمَّ استثنى؟ وهل هو استثناءٌ متصلٌ؟ أو استثناءٌ منقطعٌ؟ وهل الكلام على نسقه الظاهر؟ أو في الكلام تقديمٌ وتأخير؟ كما رجَّحَ الطبري. ويكون نسق الكلام على ما رجح: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ إلاّ قليلاً منهم، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾؟ أو أنَّ استثناء يُقْصَدُ به لا شيء، يعني العدم، وذلك أمرٌ شائعٌ في اللغة العربية، قال الشاعر[1]:

أشم كثير ندى النوال   قليل المثالب والقادحة

فنراه هنا يقصد أنه لا مثالب له ولا قادحة فيه، مِمَّا يجعل هذا القول سائغاً وليس ببعيدٍ.

وما دام كل قولٍ من الأقوال التي ذكرت في الآية محتملاً ولا دليلٌ يدفعه فبأي وجهٍ أدفعه، ولا بيان من النبيّ ﷺ في ذلك، وكلُّ تأمُّلٍ لي في الآية ومراجعةٍ لأقوال العلماء فيها يُعَمِّقُ عندي التوقف، وأنَّ كُلَّ الأقوال التي قيلت في الآية صحيحة أو محتملة، وقد سبقني إلى هذه الطريقة كبير المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى بعد إيراده الأقوال في أول

(١) الطرماح بن حكيم في ديوانه ص١٣٩.

سورة البقرة ﴿الٓمٓ ١﴾ قال رحمه الله: «قال أبو جعفر: ولكل قولٍ من الأقوال التي قالها الذين وصفنا قولهم في ذلك وجهٌ معروفٌ»(١).

ومع ذلك. فإني لا زلت تشكل عليَّ الآية، لأن كل قولٍ من الأقوال التي ساقها العلماء لا تخلو - عندي - من نظر، للأسباب التي ذكرت آنفاً.

وصدق الله تعالى إذ يقول ممتناً على نبيّه ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، ويقول تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ويقول جلاً وعلا: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ . . .﴾ [الرعد: ٣١]. . .

اللهم فَهِمْنَا كِتَابَك، وارزقنا الأدب مع حُسْنِ العمل.

وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العالمين



(١) تفسير الطبري ٢١١/١ بتعليق: أحمد شاكر، ومحمد شاكر.

الخاتمة

بعد أن جُلْتُ في كتب التفسير، واللغة، والنحو، متتبعاً لمفردات هذه الآية ولمعانيها، تبيَّن لي أنَّ العلم وحده لا يكفي للتأليف، كما تبيَّن لي أنَّ معرفة الإنسان لمناهج البحث، وطريقة ترتيب المعلومات وتسلسلها لا يكفي.. فلا بدَّ للمؤلف من علم ومعرفةٍ وفهم جيد.. ويتحتم عليه معرفة مناهج البحث وطريقة التأليف، وإلاَّ لظهر ذلك في البحث.

كما تبيَّن لي أنَّ مسألة هذا البحث يمكن أن تُعْمَل كتاباً مستقلاً، وتوضع فيه مئات الصفحات.

كما تبيَّن لي أنَّ العلوم مرتبطةٌ بعضها ببعض، وأنَّ العالِمَ قد يخطىء في جزئية، ولا يكون خطؤه سبباً في كونه غير عالِم.. كما أنَّ طالب العلم قد يعلم جزئية ويكون مُحِقّاً فيها، ولا يجعله ذلك عالِماً.

ثُمَّ إني في النهاية أقول: إنَّ هذه الآية: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هي أكثر آية في القرآن إشكالاً - عندي - وأنَّ البحث الذي عملته فيها بصَّرني بعجزي، وتحمل القرآن للمعاني الكثيرة التي يغرف منها كل واحدٍ حسب ما أعطاه الله من الفهم والمعرفة، وأنه معينٌ لا ينضب.

وصدق الحق جلَّ وعلا إذ يقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: ٢٤].

وفي الختام أوصي نفسي وإخواني بتقوى الله تعالى، وتدبر كتابه، وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، والعمل به. وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه.

وكان الفراغ من تسويده في غرة رجب من عام خمسة عشر وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة.

وكتبه: عبدالله بن الشيخ محمد الأمين
ابن محمد المختار الجكني الشنقيطي
المدينة النبوية

الفهارس

١ ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

٣ ـ فهرس الأعلام.

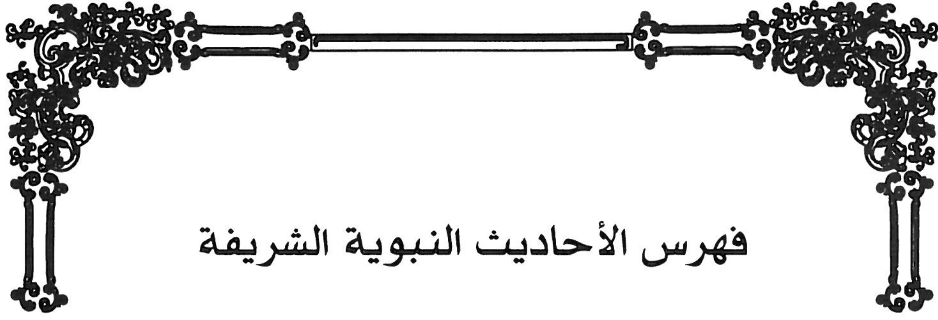
٤ ـ فهرس الشواهد العربية.

٥ ـ فهرس المصادر والمراجع.

٦ ـ فهرس الموضوعات.

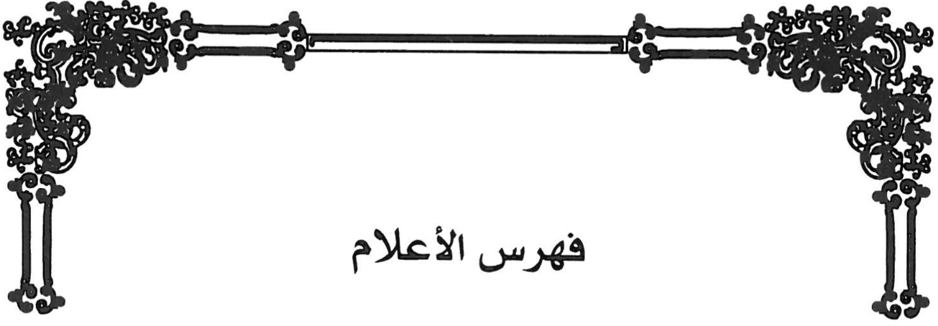
فهرس الآيات القرآنية الكريمة





فهرس الأحاديث النبوية الشريفة





فهرس الأعلام

فهرس الشواهد الشعرية

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ **القرآن الكريم**.

٢ ـ **الارتشاف**.

٣ ـ **الاستذكار**: لابن عبدالبر.

٤ ـ **الاستغناء في أحكام الاستثناء**: للإمام القرافي.

٥ ـ **الإشراف على مسائل الخلاف**: للقاضي عبدالوهاب بن علي بن نصر البغداي الفقيه المالكي (ت٤٢٢هـ) بمصر. ط. الإرادة.

٦ ـ **الأشموني**.

٧ ـ **إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**: للدامغاني.

٨ ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ).

٩ ـ **الأعلام**: لخير الدِّين الزركلي. ط. دار القلم.

١٠ ـ **إملاء ما منَّ به الرحمن**: للعكبري.

١١ ـ **إنباه الرواة**.

١٢ ـ **الإنصاف في مسائل الخلاف**: لابن الأنباري.

١٣ ـ **الأوسط**: للطبراني.

١٤ ـ **البحر المحيط**: لأبي حيان.

١٥ ـ **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**: لابن رشد. ط. عالم الكتب.

١٦ ـ **البداية والنهاية**: لابن كثير.

١٧ ـ **بغية الوعاة**.

١٨ ـ **تاريخ بغداد**: للخطيب البغدادي.

١٩ ـ **ترتيب مختار الصحاح للرازي: ط. دار المعرفة.**
٢٠ ـ **التعريفات**: للجرجاني.
٢١ ـ **تفسير البغوي**: ط. دار المعرفة.
٢٢ ـ **تفسير ابن أبي حاتم.**
٢٣ ـ **تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير آي القرآن)**: لابن جرير الطبري.
تعليق: أحمد شاكر، ومحمد شاكر، إلى سورة الرعد.
٢٤ ـ **تفسير القرآن العظيم**: لابن كثير. ط. الشعب.
٢٥ ـ **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن).**
٢٦ ـ **التلخيص الحبير**: للحافظ ابن حجر.
٢٧ ـ **التنوير والتحرير**: لابن عطية.
٢٨ ـ **تهذيب الأسماء واللغات**: للإمام النووي.
٢٩ ـ **حاشية التصريح.**
٣٠ ـ **خزانة الأدب**: للبغدادي.
٣١ ـ **الدر المنثور**: للحافظ السيوطي. ط. دار الفكر، بيروت.
٣٢ ـ **دراسات في أسلوب القرآن الكريم**: محمد عبدالخالق عضيمة.
٣٣ ـ **ديوان ذي الرمة.**
٣٤ ـ **ديوان الطرمان بن حكيم.**
٣٥ ـ **ديوان عمرو بن معدي كرب.**
٣٦ ـ **الرضي (شرح الكافية).**
٣٧ ـ **روح المعاني**: للألوسي.
٣٨ ـ **روضة الناظر**: لابن قدامة، مع **نزهة الخاطر العطار**: لابن بدران.
٣٩ ـ **زاد المسير**: ط. المكتب الإسلامي.
٤٠ ـ **سنن الترمذي.**
٤١ ـ **سنن أبي داود.**
٤٢ ـ **سنن ابن ماجه.**
٤٣ ـ **سنن النسائي.**
٤٤ ـ **سير أعلام النبلاء**: للحافظ الذهبي.
٤٥ ـ **شرح أبيات الكتاب**: للصيرافي.
٤٦ ـ **شرح السنة**: للبغوي.

٤٧ ـ **شرح شواهد المغني**: للسيوطي.
٤٨ ـ **شرح المفصل**: لابن يعيش.
٤٩ ـ **الشعر والشعراء**: لابن قتيبة.
٥٠ ـ **الصاحبي**.
٥١ ـ **صحيح مسلم**.
٥٢ ـ **طبقات المفسرين**: للداودي.
٥٣ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لابن حجر العسقلاني.
٥٤ ـ **الفصول المفيدة في الواو المزيدة**: للعلائي (ت٧٦١هـ)، تحقيق: د.حسن الشاعر.
٥٥ ـ **القاموس المحيط**: للفيروزآبادي. ط. الحلبي.
٥٦ ـ **القوانين الفقهية**.
٥٧ ـ **الكتاب**: لسيبويه.
٥٨ ـ **الكامل**: لابن الأثير.
٥٩ ـ **الكشاف**: للزمخشري.
٦٠ ـ **لسان العرب**: لابن منظور. ط. دار صادر، بيروت.
٦١ ـ **المبسوط**: للسرخسي. ط. دار الفكر، بيروت.
٦٢ ـ **مجاز القرآن**.
٦٣ ـ **المحرر الوجيز**: لابن عطية.
٦٤ ـ **المحصول**: للرازي.
٦٥ ـ **المحلى**: لابن حزم الظاهري.
٦٦ ـ **المستدرك**: للحاكم.
٦٧ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**.
٦٨ ـ **مصابيع المعاني في حروف المعاني**: للخطيب الموزعي، ابن نور الدِّين (ت٨٢٥هـ)، تحقيق: د. عايض بن نافع العمري. ط. دار المنار.
٦٩ ـ **معاني القرآن**: للأخفش.
٧٠ ـ **معاني القرآن**: للفرَّاء.
٧١ ـ **معجم الأدباء**.
٧٢ ـ **معجم المؤلفين**: لرضا كحالة.
٧٣ ـ **المغني**: لابن قدامة المقدسي.

٧٤ ـ **مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب**.

٧٥ ـ **المفردات**: لأبي القاسم الحسين بن ممد الراغب الأصفهاني.

٧٦ ـ **المفضليات**.

٧٧ ـ **المقتضب**.

٧٨ ـ **مقدمة تحقيق مثلث قطرب**: للدكتور رضا السويسي.

٧٩ ـ **مقدمة تحقيق معاني القرآن**: للفرَّاء.

٨٠ ـ **المهذب**: للشيرازي.

٨١ ـ **المؤتلف والمختلف**.

٨٢ ـ **النكت والعيون**: للماوردي.

٨٣ ـ **على المفصل في النحو**: ابن يعيش.



فهرس الموضوعات

بحث في التفسير التحليلي



